المحاضرة الرابعة : التفاسير الدينية للتاريخ (التفسير المسيحي)

2ـ التفسير المسيحي للتاريخ

على الرغم مما يعتقده المسيحيين من عقيدة التثليث، غير أن الله حاضر في صورة الروح القدس في الديانة المسيحية، حيث تصورت الله في صورة ثالوث متجسد في الأب والابن والروح القدس. غير أن الابن في تصورهم مخلص قصد له أن يرد التاريخ إلى هدفه، الذي أراده الله منه، أما الروح القدس فهو الذي يطهر الناس في أثناء عملية التاريخ. فإرنولد توينبي يرى أن التاريخ هو طريق الإنسانية إلى الله، فتواريخ الأمم والحضارات والعقائد والأخلاق لا معنى له، إن لم يكن يهدف إلى هداية الناس برعاية الله، فكل عقيدة أو حضارة ترفع مصباحا صغيرا أو كبيرا، ينير الطريق وينير ساحة الكون للعلم بحقائق الوجود. فالإنسان يصنع الأعمال والحرف ويبتكر العلوم والمعارف، لكنه لا يخلق عقيدة دينية، بل تفرض عليه، ذلك أن العقيدة الدينية قابلة للبحث في بعض جوانبها ، غير أنها غير قابلة للبحث في بعضها الآخر، فالعقيدة هي التي تسخر الإنسان، لكن ليس الإنسان من يسخرها كما يحب أو يهوى، وهو ما ينطبق في نظر توينبي على العقيدة الإسلامية، عندما أراد الفرس إحياء القومية الفارسية بها، لكن استخدمتهم هي في توطيد نفسها ودراسة معارفها، فلما جاء المغول إلى بلادها ليقيموا سلطانهم، أصبحوا حراسا على أركانها.

لقد عمد رجال الدين إلى تلقين المسيحيين في طفولتهم أن المسيحية دين الله الوحيد والصحيح والحق، كما أن نظرة المسيحيين للعقيدة لليهودية تختلف تماما عن نظرتهم للإسلام، فاليهودية في نظرهم هي تمهيد للمسيحية، وأن غيرها من الديانات هي كذب واختلاف. لقد تقبلت الكنيسة تفسير اليهود لتاريخهم، غير أنهم طعنوا في تاريخ الأمم الأخرى، وهو ما أدى إلى رفع منزلة تاريخهم إلى منزلة التقديس، وما يثبت ذلك هو أن المذاهب المسيحية تعتبر التاريخ اليهودي تاريخ مقدس حتى ظهر السيد المسيح، إذ يصعب على المسيحي التخلص من آثار اليهودية، حيث يعتبرونها مقدمات أولية للمسيحية.

يقف المستشرقين الإنجليز موقف الرفض والتشكيك في قضايا وأحداث التاريخ الإسلامي، وحقائقه الثابتة، من أحداث وسيرة نبوية، مشككين في القرآن، على أنه من تأليف محمد صلى

الله علبيه وسلم، فكل ما جاء في الديانة الإسلامية من أحكام وقوانين وعقائد وقيم مرها إلى الديانة المسيحية والديانة اليهودية، لأنهما سابقتين عليها، فاليهودية عندهم هي الأصل. لقد تعددت المناهج في تفسير التاريخ الإسلامي عند المسيحيين، حيث فسر لنا منهج التفسير المادي للتاريخ في تاريخ السيرة، والمنهج الفيلولوجي والنظرية العرقية ومنهج الشك الديكارتي ومنهج الإسقاط وغيرها من المناهج، تفسيرات متضاربة للسيرة، فمناهج المستشرقين في كتاباتهم للسيرة مناقضة تماما لمنهج التفسير الإسلامي للتاريخ.

إذن التاريخ هو مسرحية ألفها الرب و يقوم بتمثيلها البشر فكل ما يقع في الدنيا هو مسطر في الغيب و أن كل ذرة تقع إلا و كانت مسطرة في الغيب لذلك فإن الإنسان عبارة عن ممثل يقوم بتنفيذ ما سجل عليه مسبقا فما يسند للبشر من نجاحات و من إنجازات هي في الحقيقة قوة ربانية وضعها في عبده الذي يشعر أحيانا بالغرور فينسب هذه الأعمال إلى ذاته متناسيا العناية الإلهية و القدرية المطلقة التي ترعى الإنسان و توجهه.

فما أشبه هذا الطرح المسيحي بالجهمية والقدرية في المذاهب الأشعرية الإسلامية و في انتظار مسارات التاريخ المختلفة سواء كانت صعودا أم استقرارا أم نكوصا هي في نهاية المطاف أوامر ربانية يقوم البشر كل حسب دوره بتنفيذها في انتظار عودة المسيح عليه السلام لنشر العدل و الخير بين كافة أفراد البشر هذا هو الوعد المنتظر تحقيقه في التاريخ بالنسبة للمذاهب المسيحية.

مشاهد التاريخ في المسيحية

تقدم المسيحية التاريخ في صورة ضرب من الدراما المسرحية، قاموا بتقسيمها إلى مشاهد، كل مشهد يمثل مرحلة تاريخية معينة، وكل مشهد هو فصل قائم بذاته:

1- **الفصل الأول** : يمثل سقوط آدم من العالم العلوي إلى العالم السفلي، وما أعقبه من استمرار للخطيئة التي تباعد عن الله ذرية آدم.

2- **الفصل الثاني** : ويمثل دخول الله في التاريخ متجسدا في صورة بشرية، تجسدت في صورة يسوع المسيح، حيث شهد هذا الفصل تأسيس الكنيسة المسيحية، وتأثيرها الكبير على الأفراد، وظهور فكرة تخليص البشرية بصلب المسيح (فكرة الخلاص)، وبعث المسيح وصعوده إلى السماء، ليؤكد للبشرية بخلودهم.

3- **الفصل الثالث** : ويتمثل في تبشير العالم بالإنجيل، وقد ارتبط ذلك باتساع نطاق الكنيسة.

4- **الفصل الرابع** : ويتمثل في عودة المسيح للمرة الثانية إلى العالم جالبا معه يوم الحساب، وافتتاح مملكة السماء الموسومة بالكمال، والمقرونة بإتمام البركات.

لقد جاء في إنجيل لوقا « وإن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك، فبمحبته ورحمته قد صنع طريقا للخلاص»، يعتقد المسيحيين أن المسيح جاء ليخلص الناس ويكفر عن ذنوبهم، وأن صلبه هو خلاص لهم، فالمسيح هو من يكفر عن خطايا العالم، كما يعتقدون أن المسيح هو النور الأعظم القائم في مركز التاريخ، الذي ينير كل إنسان آت إلى العالم، وهو الذي يضفي على الحياة معنى، ويعطي التاريخ هدفا، فالتكفير عن ذنوب البشرية تجسد في الصلب. ثم دفن المسيح بعد الصلب وقام بعد ثلاثة أيام من قبره وصعد إلى السماء، وكان قد أنبأ البشرية بذلك قبل صلبه. يعتقد المسيحيين أن التاريخ تحكمه جبرية، تجعل الأمم صاعدة إلى مثلها الأعلى، غير أنها رفعت عنها المسؤولية بالصلب للمسيح.

تفسير أوغسطين للتاريخ

ينطلق القديس أوغسطين من فرضية أن التاريخ يدور حول كل من المؤقت والأبدي، وأن الله أبدي وهو خالق الزمن، إذ لا يجوز فهم الأبدي ولا وصفه من جهة المؤقت، كما أن الله موجود وحال في الزمان كله، وأن الزمن هو ما يمارسه الإنسان . إن علاقة الأبدي بالمؤقت هي حقيقة ذات أهمية كبيرة للدين، لكنها غير مفهومة للإنسان، وأن الله في إطار التاريخ هو العناية، غير أن شؤون التاريخ الأرضي يتولاها الله.

إن الشر في نظر القديس أوغسطين يولد الحرمان، الذي هو امتناع الخير، إذ ليس هناك طبيعة تتصف بالشر بل هناك افتقار للخير فقط، وأن الشر نوعان:

- شر يتعلق بما يفعله المرء، وهو ما يسمى في المسيحية بالخطيئة .

- شر يتعلق بما يقاسيه المرء وهو العقوبة .

إن مدينة الله، أي المدينة الإلهية السماوية المقدسة، مدينة أبدية لم تظهر بعد على الأرض، أما مدينة الإنسان أو مدينة الأرض فهي مدينة تتميز بالزوال، وهذا التناقض بين المدينتين جعلهما في حرب أهلية أبدية، تنفصل عن بعضهما البعض يوم الحساب، فمن يرضى عليه الله يبارك إلى الأبد ومن يغضب عليهم يعذب إلى الأبد، حيث رفض في ذلك قبول الدورات المتكررة في التاريخ، حيث قسم التاريخ إلى أقسام:

1- من آدم إلى الطوفان

2- من الطوفان إلى إبراهيم

3- من إبراهيم إلى داوود

4- من داوود إلى الأسر

5- من الأسر إلى ميلاد المسيح

6- العصر الحاضر

7- الذي يستريح فيه الله كما حدث في اليوم السابع وسيمنحنا الراحة في ذاته.[1]

تفسير التاريخ بالخطيئة عند المسيحيين :

تربط المسيحية بين الخلق و الخطيئة بمعنى أن الإنسان ارتكب خطأ الأكل من شجرة المعرفة التي كان قد حذر من المساس بها لذلك فهم يعتبرون أن المرأة أي أمنا حواء هي من دفعت آدم إلى القرب من الشجرة و مخالفة تعاليم الرب و لهذا تم إخراجه من الجنة إلى الدنيا حيث يلاقي المصاعب و المخاطر كما تسود بين البشر الكثير من الشرور و الآثام و تقل المحبة بينهم بسبب الخطيئة الأولى لذلك فإن الرب قرر أن يرسل المسيح عليه السلام بصفتيه اللاهوتية و الناسوتية أي أنه يمثل جزء من الإله، و في الوقت ذاته يمثل الجزء الآخر من البشر لكي يمشي في الأسواق و يحذر الناس من التجاوزات المرتكبة في حق تعاليم الرب .

[1] ـ محمود الشرقاوي : **التفسير الديني للتاريخ**، ج1 ، مرجع سابق، ص ص 184 – 192.